الفصل الأول

الحكمة

- قوة العقل .
- حسن التدبير .
- الحذر .
- حسن الظن .
- الفطنة .
- خفايا آفات النفوس .

obeikan.com

obeikan.com

الفصل الأول

الحكمة

معنى الحكمة : جاء فى دائرة المعارف الاسلامية رأى البيضاوى بأنها : « استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها »[1] .

وفسرها أحد علماء اللغة بأنها : « معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم »[2] .

وذكر التهانوى فى كتابه كشاف اصطلاحات الفنون كثيرا من المعانى لكلمة الحكمة أهمها أنها : علم الحكمة : وتشمل بيان الحكمة العلمية من الحكمة الخلقية والحكمة السياسية والمدنية وبيان الحكمة النظرية ومنها معرفة الحق لذاته والخير لأجل العمل به والتكاليف الشرعية ثم قال : هكذا فى التفسير الكبير فى قوله تعالى : ﴿ **ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة** ﴾[3] .

والشائع المتواتر على ألسنة الناس فى هذه العصور يؤخذ عنه أن الحكمة هى الاصابة فى العلم والعمل .

وللحكمة أثر بعيد المدى فى ضبط سلوك الأفراد والمجتمعات وبها تتجنب مزالق الاقدام وتتوقى الأخطار فى الحياة الخاصة والعامة .

وما كانت الحكمة شأن فرد الا أصاب النجاح والفلاح ، ولا كانت خلق أمة الا بسطت سيادتها على العالم وسار مجدها سير الشمس . وكيف لا والحكمة تقتضى قبل كل عمل تبصرا بالأمور من جميع نواحيها : وحذرا .

والحكمة هى معرفة الأفضل فى كل شىء وفى كل سلوك فى الميادين

---

(١) انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ١٤/٨ ـ وزارة الثقافة ـ مصر ، ١٩٦٩ م .

(٢) لسان العرب ، انظر كلمة الحكمة .

(٣) الاسراء : ٣٩

المختلفة والعمل بموجب تلك المعرفة اليقينية الراسخة وتحكيم العقل والارادة الدينية وتطبيق العلم في المشكلات والقضايا .

وتعليم الحكمة والتنشئة بها مهم في ميدان التربية العقلية ، لأنها من الوسائل المهمة والعوامل الدافعة الى تكوين شخصية عاقلة حكيمة يتفاعل مع ما يتعلم من الحقائق العلمية ويندفع الى تطبيقها في حياته العلمية في المجالات المختلفة . ويسعى باستمرار الى ما هو أفضل في كل شيء . في حق نفسه وحق أمته . ثم انه لا يخضع في تفكيره وسيره وعمله لنزواته وشهواته . ولا يكفي مجرد تعليم الحكمة بل لا بد مع ذلك من التنشئة بها في مختلف مراحل تربية الانسان . لأن الانسان ان لم يمارسها لا يستطيع أن يكتسبها ولا يستطيع ان يقدر قيمتها حق قدرها . ثم ان التنشئة بها تكون عند المتربي الارادة الحكيمة التي لا يمكن أن تتكون من الناحية العملية بدون ممارستها والتنشئة بها .

فاذا ازداد الانسان علما بالحكمة وسلوكا وارادة يستطيع أن يتصرف تصرفا حكيما بالرغم من الظروف المختلفة والعوامل الدافعة الى الخروج عن الحكمة عندئذ يتحقق مغزى قول الله تعالى : **ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا** (١) وخاصة اذا علم الانسان حكمة المبادىء الاسلامية وقيمها المختلفة كان أكثر اندفاعا لها وتمسكا بها .

ولهذه الاهمية للحكمة ذكرها تعالى مقارنا بالقرآن ومقارنا بالكتب السماوية أيضا في قوله تعالى : **واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل** (٢) ولهذا أيضا أرسل الرسول بهدف تعليم الكتاب وتزكية النفوس وتعليم الحكمة كما ذكر الله تعالى في قوله :

كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون (٣) .

ثم دعا الاسلام الى ان تكون الدعوة في سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة فقال تعالى : **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** (٤) .

---

(١) البقرة : ٢٦٩ (٢) المائدة : ١١٠
(٣) البقرة : ١٥١ (٤) النحل : ١٢٥

ومن الظواهر الجديرة بالتأمل أن تعاليم الحكمة لم تكن معروفة الا قليلا فى عصر الجاهلية العربية بل لا تكاد توجد فى الآثار التاريخية لذلك الشعب الذى كان همه الغارات وكأنها كانت تتنافى وصيغه المخلوعة بحصية الجاهلية ، فلما جاء الاسلام مجد الحكمة ودعا اليها وزخر الأدب الاسلامى بذكرها ولهج بها الشعراء والكتاب وما أبدع قول الشاعر :

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهت فأنت حكيم

وبعد فكفى الحكمة شرفا أن وصف الله سبحانه وتعالى ذاته العلية بها فى غير موضع من الكتاب الكريم قال تعالى : ﴿ **وهو العلى الحكيم** ﴾ ، وقال جل شأنه : ﴿ **ان الله كان عليما حكيما** ﴾ وقال عز من قائل : ﴿ **وهو الحكيم الخبير** ﴾(١) .

ومن كل هذا نقرر أن الحكمة من أمهات الفضائل التى يجب أن يتحلى بها الانسان الرجل المسلم .

ولهذا كله نرى الرسول صلى الله عليه وسلم يشجع على طلب الحكمة قائلا : « الكلمة الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها »(٢) .

وفى رواية أخرى «الحكمة ضالة المؤمن» ' . وقال : «لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها »(٤) وقال أيضا : « نعم المجلس مجلس ينشر فيه الحكمة »(٥) ثم اننا يجب أن نعلم أن من أسباب انصراف كثير من المسلمين فى العالم الاسلامى عن التمسك بالمبادىء الاسلامية الجهل بحكمة الأحكام التشريعية لهذا الدين . ولهذا كله يجب الاهتمام بالتربية بالحكمة فى ميدان التربية الاسلامية(٦) .

* * *

---

(١) انظر : الأخلاق فى الاسلام والفلسفة القديمة ـ أسعد السحمرانى ، ص ١٠١

(٢) سنن ابن ماجه : ج ١٣٩٥/٢ كتاب الزهد ، باب الحكمة .

(٣) المقاصد الحسنة ـ السخاوى ج ٩١/١

(٤) تفسير ابن كثير ج ٣٣٥/١

(٥) التاج الجامع للأصول لأحاديث الرسول ج ٧٥/١

(٦) انظر : جوانب التربية الاسلامية الأساسية ـ مقداد يالجن ـ بيروت : مؤسسة الريحانى ص ٩٦ ـ ١٠١ (بتصرف) .

المبحث الأول

قوة العقـل

فى كتاب الله سبحانه وتعالى تكررت الدعوة الى استخدام العقل . ومرادفته كالفكر واللب ، والعقل هو وسيلة أعطاها الله عز وجل للانسان من أجل الاستنباط والاجتهاد والفهم ، وبه تميز الانسـان عن سـائر المخلوقات ، والعقل فى حقيقته لا يرى . ولا يلمس ، وانما تلمس آثاره .

● معنى العقـل :

يذكر الامام المحاسى فى رسالته (ماهية العقل وحقيقته) معنى العقل وفضله فيقول :

انه غريزة وضعها الله سبحانه فى أكثر خلقه ، لم يطلع عليها العباد بعضهم من بعض ، ولا اطلعوا عليها من انفسهم برؤية ولا بحس ولا ذوق ولا طعم ، وانما عرفهم الله اياها ـ يعنى غريزة العقل[1] .

فقد جاءت نصوص متعددة تعبر عن أن العقل قوة مدركة فى الانسان خلقها الله فيه ليكون مسئولا عن أعماله على أساس قدرته للادراك والتمييز بين الحق والباطل والخير والشر والحسن والقبح ثم تكليفه بناء على ذلك أن يتبع طريق الحق و لخير والحسن وأن يتجنب طريق الباطل والشر والقبح والضلال والانحراف . وعلى الانسان بناء على هـذا وذاك أن يستخدم هذه القدرة ويعمل بها كما أرشـده خالقه والا كانت عاقبتـه

---

(١) انظر : ماهية العقل ومعناه ـ الحارث المحاسبى ـ بيروت : دار الفكر ، ص ٢٠١

الخسران والهلاك فى الدنيا والآخرة ولهذا بين الله تعالى أن سبب الانحراف والضلال هو عدم العمل بمقتضى هدى العقل السليم فقال :

﴿ وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير ﴾(١) .

وقال تعالى :

﴿ يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه ﴾(٢) .

﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب ، افلا تعقلون ﴾(٣) . ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس ، وما يعقلها الا العالمون ﴾(٤). ﴿ افلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ﴾(٥) . ﴿ ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ﴾(٦) .

وأهم ما يمكن أن نستخلصه من هذه النصوص وغيرها فيما يتعلق بالعقل هو أن العقل قوة مدركة فطرية فى الانسان وأنه يستعمل لثلاثة معان الأول : الادراك ، الثانى : العمل بمقتضى الادراك وهو العقل العملى أو الحكمة والثالث : التعقل القلبى .

والفرق بين الادراك العقلى والادراك القلبى هو أن الانسان يحس بالفرق بين الادراكين من حيث ان ما يدركه الانسان بقلبه غير ما يدركه بعقله ، وما يدركه بعقله قد لا يدركه بقلبه اذ ان هناك خصوصية لادراك كل من العقل والقلب فان الادراك العقلى منطقى تسلسلى واستدلالى ، بينما ادراك القلب مباشر وفجائى وأن ادراك القلب الهامى واضح كالعيان

---

(١) الملك : ١٠
(٢) البقرة : ٧٥
(٣) البقرة : ٤٤
(٤) العنكبوت : ٤٣
(٥) الحج : ٤٦
(٦) الأنفال : ٢٢

ولهذا عبر الله عن ادراك القلب بالرؤية فقال تعالى : ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾(١) .

وينبغي ان نفرق هنا بين القلب المادي الجسمي المعروف وبين القلب المعنوي الذي هو جوهر الانسان وحقيقته كما أن قلب الشيء جوهره وحقيقته أو وسطه الهام .

اذن رؤيه القلب غير ادراك العقل ودليل وجود هذا الفرق تجريبي أكثر من أن يكون منطقيا . فالانسان أحيانا قد يشعر بحقيقة في نفسه ولا يجد لها دليلا منطقيا . وبالعكس قد يجد دليلا منطقيا على فكرة ولا يطمئن اليه قلبه او يقتنع به قلبيا(٢) .

والعقل به يكون الحظ . ويؤنس الغربة . وينفي الفاقة ؛ ولا مال أفضل منه . ولا يتم دين أحد حتى يتم عقله .

فبالعقل تعمر القلوب ؛ كما أن بالعلم تستخرج الأحلام ، وعمود السعادة العقل . ورأس العقل الاختيار ؛ ولو صور العقل صورة لأظلت معه الشمس لنوره . فقرب العاقل مرجو خيره على كل حال ؛ كما أن قرب الجاهل مخوف شره على كل حال .

ولكي تكون رجلا عاقلا لا تستحقر أحدا . لأن من استحقر السلطان أفسد دنياه ؛ ومن استحقر الأتقياء هلك دينه ؛ ومن استحقر الاخوان أفنى مروءته . ومن استحقر العام أذهب صيانته .

والعاقل لا يخفى عليه عيب نفسه ؛ لأن من خفى عليه عيب نفسه خفيت عليه محاسن غيره ؛ وان من أشد العقوبة للمرء أن يخفى عليه عيبه ؛ لأنه ليس بمقلع عن عيبه من لم يعرفه ، وليس بنائل محاسن الناس من لم يعرفها .

والعاقل يبذل لصديقه نفسه وماله .

---

(١) النجم : ١١

(٢) انظر : جوانب التربية الاسلامية ـ مقداد يالجن ، ص ٨٧ ـ ٨٨

والعاقل يكرم على غير مال . كالأسد يهاب وان كان رابضا والعاقل لا يطول أمله . لأن من قوى أمله ضعف عمله ، ومن آتاه أجله لم ينفعه أمله .

والعاقل لا يقاتل بغير عدة . ولا يخاصم بغير حجة ، ولا يصارع بغير قوة ، لأن بالعقل تحيا النفوس ، وتنور القلوب . وتمضى الأمور . وتعمر الدنيا .

والعاقل يقيس ما لم ير من الدنيا بما قد رأى ، ويضيف ما لم يسمع منها الى ما قد سمع . وما لم يصب منها الى ما قد أصاب[1] .

وقال الامام الماوردى رحمه الله :

اعلم أن لكل فضيلة أسا . ولكل أدب ينبوعا . وأس الفضائل وينبوع الآداب هو العقل الذى جعله الله تعالى للدين أصلا ، وللدنيا عمادا ، فأوجب التكاليف بكماله ، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه وأنشد بعض أهل الأدب هذه الأبيات ، وذكر أنها لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه:

ان المكارم أخلاق مطهرة فالعقل أولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها والجود خامسها والعرف سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها والشكر تاسعها واللين باقيها

واعلم أن بالعقل تعرف حقائق الأمور ، ويفصل بين الحسنات والسيئات ، وهو ينقسم الى غريزى ومكتسب[2] .

أخى المسلم الرجل .. ان العقل هبة الرحمن ، فينبغى علينا أن نقوم بشكره عليها بفعل طاعته ، والبعد عن معصيته .

ان العقل مع امتثال طريق الله هو بحق العقل السليم ، وصاحبه هو العاقل حقيقة .

---

(١) انظر : مختصر روضة العقلاء ص ١٦ ـ ٢٦ ، وكتاب العقل وفضله : ابى الدنيا ـ تحقيق مجدى السيد ابراهيم ـ القاهرة : مكتبة القرآن ص ١٣ ، ١٤

(٢) انظر : أدب الدنيا والدين ـ الماوردى ، ص ١٤ ـ ٢٢

اذن فالمراد من العقل الارادة الجازمة القوية القادرة على عقل النفس وأهوائها وشهواتها ، وضبطها فى حدود الخير ، مع استنادها الى معرفة الامور ، وبصيرة بما فيها من خير وشر .

ولا ننسى أن القرآن الكريم رفع من شأن العقل ، وطالبنا بالتحلى به والسير على هديه ، والتمسك بأهوائه . وقد تكررت مادة العقل فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : عقلوه ـ تعقلون ـ يعقلون ـ يعقلها ـ فعقل ، تسعا وأربعين مرة[1] .

وجاء فى الأثر :

ان جبريل أتى آدم عليه السلام ، فقال له : « انى آتيك بثلاث فاختر واحدة منها » ، قال : وما هى يا جبريل ؟ قال : « العقل والدين والحياء » قال : قد اخترت العقل ، فخرج جبريل الى الحياء والدين فقال : « ارجعا فقد اختار عليكما العقل ، فقالا : أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان » .

وقال عليه السلام أيضا مشيدا بالعقل : « ما اكتسب رجل مثل عقل يهدى صاحبه الى هدى ، ويرده عن ردى ، وما تم ايمان عبد ولا استقام دين حتى يكمل عقله »[2] .

ان الاسلام قد وضع يد الانسان على أسرار هذا الكون ليلمس بعقله العبرة والعظة من هذه المظاهر الكونية ، ولكن عقل الانسان لو تجاوز حدوده لأدى ذلك الى التفكير المضطرب ، الى الانحدار ، الى الهاوية .

ونحن البشر لا يعنينا أن نعرف حقيقة هذا العقل ، لأن الذى يهمنا فقط هو آثار هذا العقل ، تلك الآثار التى نلمسها فى حياتنا ، وفى ميادين البحث والمعرفة والسلوك ، والنظر فى هذا الكون العريض لنركع فى خشوع أمام مبدعه :

---

(١) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ محمد فؤاد عبد الباقى (عقل) .

(٢) انظر : مقام العقل عند العرب ، ص ٣٠ ، ٣١

﴿ صنع الله الذى أتقن كل شىء ﴾(١) .

قال أبو زكريا الرازى : ان البارى عز اسمه انما أعطانا العقل ، وحبانا به لننال ونبلغ به من المنافع العاجلة غاية ما فى جوهر مثلنا نيله وبلوغه(٢) ..

فبالعقل فضلنا على الحيوان غير الناطق حتى ملكناه وسسناه .. وبالعقل أدركنا جميع ما يرفعنا .. وبالعقل أدركنا الأمور الغامضة البعيدة المستورة عنا ، وبه عرفنا شكل الأرض والفلك ، وعظم الشمس والقمر ، وسائر الكواكب ، وأبعادها وحركاتها وبه وصلنا الى معرفة البارى عز وجل الذى هو أعظم ما استدركنا . وبالجملة فانه الشىء الذى لولاه لكانت حالتنا حالة البهائم والأطفال والمجانين(٣) .

* * *

(١) النمل : ٨٨
(٢) انظر : الطب الروحانى ـ الرازى .
(٣) انظر : مقام العقل عند العرب ـ لحافظ طوقان ص ١٠

obeikan.com

المبحث الثانى

حسن التدبير

التدبير : فى أصل اللغة التوفيق بين أوائل الأمور ومباديها . وأدبارها وعواقبها . بحيث تكون المبادىء مؤدية الى ما يريد من غاياتها . كما ان تدبر الامر او القول هو التفكر فى دبره ، وهو ما وراءه وما يراد منه وينتهى اليه .

والتدبر هو النظر فى أدبار الأمور ، أى أواخرها ونتائجها وعواقبها . وتدبر الكلام هو النظر والتفكر فى غاياته ومقاصده التى يرمى اليها . وعاقبة العامل له والمخالف له ، وقد استعملت كلمة « التدبر » فى كل نظر . سواء أكان نظرا فى حقيقة الشىء وأجزائه ، أم فى سوابقه واسبابه . ام فى لواحقه واعقابه .

وتدبر فلان الامر ودبره تدبيرا : نظر فى عواقبه وأدباره ليقع على الوجه المحمود . ولذلك يقال : التدبير هو النظر فى عواقب الامور او التفكير فى دبر الامور .

وقد وردت مادة « التدبير » فى طائفة من آيات القرآن الكريم ، فجاء فى سورة يونس : « **ان ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة ايام ثم استوى على العرش ، يدبر الأمر ، ما من شفيع الا من بعد اذنه ، ذلكم الله ربكم فاعبدوه ، افلا تذكرون** »(1) .

وقوله « يدبر الأمر » : أى يقضى ويقدر على حسب ما تقتضيه الحكمة والكمال . وجاء فى سورة الرعد : « **الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش ، وسخر الشمس والقمر ، كل يجرى لأجل مسمى ، يدبر الأمر ، يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون** »(2) .

---

(1) يونس : ٣ (2) الرعد : ٢

وجاء فى سورة السجدة : ﴿ **يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون** ﴾(١) .

وجاء فى سورة النازعات : ﴿ **فالمدبرات أمرا** ﴾ والمراد بالمدبرات أمرا هنا الملائكة الموكله بتدبير الأمور . أو الملائكة المدبرات أمر الدنيا باذن الله تعالى .

ويرى الامام محمد عبده أنها الكواكب التى انفردت بتدبير بعض الأمور الكونية فى عالمنا الأرضى . وليس التدبير هنا الا ظهور الأثر ، ونسبة التدبير اليها لأنها أسباب ما نستفيده منها . والمدبر الحكيم هو الله جل شأنه .

وقد وردت مادة « التدبر » فى آيات من القرآن المجيد ، ففى سورة النساء : ﴿ **افلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** ﴾(٢) .

أى : ألا يتأملون معانيه ويتبصرون ما فيه ؟ أفلا يتدبرون كتاب الله تعالى . فيعلموا أنه كلام الله . لاتساق معانيه ، وائتلاف أحكامه ، وتأييد بعضه بعضا بالتصديق . وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق . لأن القرآن لا يكذب بعضه بعضا ، ولا ينقض بعضه بعضا ، وما يجهله بعض الناس من أمره هو من قلة علمهم وتقصير عقولهم .

وفى تفسير المنار : يتعرض السيد رشيد رضا لتفسير هذه الآية الكريمة بما يكشف عن مكانة فضيلة التدبر بين الفضائل الاسلامية القرآنية فيقول : والمعنى : جهل هؤلاء حقيقة الرسالة ، وكنه هذه الهداية . أفلا يتدبرون القرآن الذى يدل على حقيقتها ، وعاقبة المؤمنين بها . والجاحدين لها . فيعرفوا أنه الحق من ربهم ، وأن ما أنذر به الكافرين والمنافقين واقع بهم ، لأنه كما صدق فيما أخبر به عما يبيتون فى أنفسهم ، وما يثنون عليه صدورهم ، ويطوون عليه سرائرهم ، يصدق كذلك فيما يخبر به من سوء مصيرهم ، وكون العاقبة للمتقين الصادقين ،

---

(١) السجدة : ٥ (٢) النساء : ٨٢

والخزى والسوء على الكافرين والمنافقين بل لو تدبروه حق التدبر لعلموا أنه يهدى الى الحق . ويأمر بالخير والرشد . وأن عاقبة ذلك لا تكون الا بالفوز والفلاح والصلاح والاصلاح . فاذا كانوا لاستحواذ الباطل والغى عليهم — لا يدركون كنه هداية هذا القرآن فى ذاتها . أفلم يأن لهم أن يدركوا من خصائصه ومزاياه . أنه لا يمكن أن يكون الا من عند الله !

ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ، اى لو كان من عند محمد بن عبد الله القرشى . لا من عند الله الذى أرسله به . لوجدوا فيه اختلافا كثيرا . لعدم استطاعته واستطاعة أى مخلوق أن يأتى بمثل هذا القرآن فى تصوير الحق بصورته كما هى ، لا يخلف ولا يتفاوت فى شىء منها . لا فى حكايته عن الماضى . الذى لم يشاهده محمد صلى الله عليه وسلم . ولم يقف على تاريخه . ولا فى اخباره عن الآتى فى مسائل كثيرة وقعت كما أنبأ بها . ولا فى بيانه لخفيى الحاضر . حتى حديث الأنفس ومخبآت الضمائر » .

وجاء فى سورة محمد : **أفلا يتدبرون القرآن ، أم على قلوب أقفالها** (١) أى : أفلا يلاحظون معانى القرآن ودقائقه ورقائقه ، وما فيه من المواعظ والزواجر . حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات . ولا ينكشف لهم الأمر . فكأنها مقفلة . لا تقبل التدبر ولا الاعتبار ؟ .

ويصور ابن جرير الطبرى معنى الآية بما خلاصته : أفلا يتدبر هؤلاء الضالون مواعظ الله تعالى التى يعظهم بها فى آيات القرآن الذى أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ويتفكرون فى حججه التى بينها لهم فى تنزيله . فيعلموا خطأ ما هم عليه مقيمون ، أم أقفل الله على قلوبهم . فلا يعقلون ما أنزل الله فى كتابه من المواعظ والعبر ، انهم لو فعلوا لوجدوا فى القرآن الكريم زاجرا عن معصية الله ، وداعيا الى طاعته .

---

(١) محمد : ٢٤

وهذا معناه أن التدبر اذا صار للانسان خلقا يتحلى به . وفضيلة يتزين بجمالها . فان التدبر يعصم صاحبه من السوء ، ويقربه بالخير وهذا التدبر انما يثيره فى الانسان قلب حى يقظ ، وعقل متفتح مستجيب واحساس دقيق مرهف . وبهذا الاستعداد يتمكن الانسان من أن يحسن التدبر الدنيوى والتدبر الدينى . وهما اللذان يشير اليهما خالد بن معدان فى قوله : « ما من آدمى الا وله أربع أعين : عينان فى رأسه لدنياه . وما يصلحه من معيشته . وعينان فى قلبه لدينه . وما وعد الله من الغيب فاذا أراد الله بعبد خيرا أبصرت عيناه اللتان فى قلبه . واذا أراد الله به غير ذلك طمس عليهما » .

ويشير تفسير المنار الى أن التدبر للقرآن الكريم هو طريق الهداية السليم وصراط الحق المستقيم . وأن تدبر القرآن فرض على كل مكلف بحسب قدرته وطاقته . وهذا التدبر هو الذى يحقق للانسان الاستقلال فى الفهم والادراك . ويصونه من فساد التقليد والمتابعة العمياء .

ثم يقول : « يجب على كل مسلم يتدبر القرآن . ويهتدى به بحسب طاقته . وأنه لا يجوز لمسلم قط أن يهجره ويعرض عنه ، ولا أن يؤثر على ما يفهمه من هدايته كلام أحد من الناس لا مجتهدين ولا مقلدين . فانه لا حياة للمسلم فى دينه الا بالقرآن ، ولا يوجد كتاب لامام مجتهد . ولا لمصنف مقلد . يغنى عن تدبر كتاب الله فى اشعار القلوب عظمة الله تعالى وخشيته وحبه . والرجاء فى رحمته والخوف من عقابه ولا فى تهذيب الأخلاق وتزكية الأنفس . وتنزيهها عن الشرور والمفاسد وتشويقها الى الخيرات والمصالح ، ورفعها عن سفاسف الأمور الى معاليها . ولا فى الاعتبار بآيات الله فى الآفاق ، وسننه فى سير الاجتماع البشرى وطبائع المخلوقات ، ولا فى غير ذلك من ضروب الهداية التى امتاز بها على سائر الكتب الالهية ، فكيف تغنى عنه فيها المصنفات البشرية . أما وسر القرآن لو أن المسلمين استقاموا على تدبر القرآن والاهتداء به فى كل زمان . لما فسدت أخلاقهم وآدابهم ، ولما ظلم

أو استبد حكامهم ، ولما زال ملكهم وسلطانهم ، ولما صاروا عالة فى معايشهم وأسبابها على سواهم .

هذا التدبر والتذكر الذى نطالب به المسلمين آنا بعد آن ، كما هى سنة القرآن . لا يمنع أن يختص أولو الأمر منهم باستنباط الأحكام العامة فى السياسة والقضاء والادارة العامة ، وأن يتبعهم سائر الأمة فيها »[1] .

وجاء فى سورة المؤمنون قوله تعالى : ﴿ **افلم يدبروا القول ، أم جاءهم ما لم يات آباءهم الأولين** ﴾(٢) .

وكلمة « يدبروا » فى الآية أصلها « يتدبروا » أى : أفلم يتأمل هؤلاء المشركون كلام الله تعالى وتنزيله ، فيعلموا ما فيه من العبر . ويعرفوا حجج الله التى احتج بها عليهم ، فيكون ذلك داعيا الى التوبة والاهتداء .

ويقول القرآن فى سورة ص : **كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب** ﴾(٣) .

أى ليتدبر أصحاب العقول آيات هذا الكتاب الالهى المجيد . وما شرعه الله فيه من شرائع ، فيعملوا به فيهتدوا ويسعدوا .

وكان السلف الصالح يعد « التدبر » فضيلة تزين أحرار الرجال وخيار الأبطال ، لما فى التدبر من عمق النظر فى عواقب الأمور ، ولذلك قال الامام على فى عبد الله بن عباس : « انه لينظر الى الغيب من ستر رقيق » وكثر قول حكماء العرب فى مدح الذين يتدبرون وينفذون بأبصارهم وبصائرهم فى طيات الأمور وتنائج الأحداث ، فهذا احدهم يمدح زكيا متدبرا ، فيقول فيه :

---

(١) انظر : تفسير المنار ـ السيد محمد رشيد رضا .
(٢) المؤمنون : ٦٨ (٣) سورة ص : ٢٩

عليم بأعقاب الأمور برأيه كان له فى اليوم عينا على الغد

وهذا ثان يقول :

بصير بأعقاب الأمور ، كأنما تخاطبه من كل أمر عواقبه

وهذا ثالث يقول :

بصير بأعقاب الأمور كأنما يرى بصواب الرأى ما هو واقع

وكان أسلافنا يحثون على المبادرة الى التدبر فى الوقت المناسب . قبل فوات الأوان ، ولذلك يقول أكثم بن صيفى :

« لا تتدبروا أعجاز أمور قد ولت صدورها » .

وحسن التدبير من علامات الرجولة فى الاسلام لأن المسلم المتدبر الذكى الألمعى هو الذى يتطلع أولا الى الماضى يدرسه ويستخلص منه العبرة ، ثم يدرس الحاضر بماله وما عليه . ثم يتطلع ببصيرته الى الغد ليستدل بالحاضر على المقبل . كما انتفع بعبرة الماضى فى الحاضر ، ولذلك قال حكماؤنا :

« كفى بالدهر مخبرا بما مضى عما بقى » .

ان الرجل المؤمن اذا صدق فى تدبره يصير يقظا فى تفكيره وتعبيره . وفى قوله وعمله . وفى صلاته . فهو يضىء صدره بنور الفكرة . ويعمر قلبه بوازع العبرة . ويقدر لرجله قبل الخطو بوضعها ، ويجعل لسانه وراء عقله . فلا يلفظ اللفظة الا بعد أن يزنها بميزان هذا العقل ، لأن الحكيم يقول : « الكلمة أسيرة فى وثاق الرجل ، فاذا تكلم بها عاد أسيرا فى وثاقها » .

وخير الناس من كان التدبر له خلقا فى أقواله وأعماله ، متخذا له شعارا مثل قول القائل الحكيم :

اذا شئت أن تحيا عزيزا مسلما فدبر وميز ما تقول وتفعل

اللهم هبنا صواب الفكرة وصدق العبرة ، واجعلنا من المتدبرين أولى الألباب[1] .

* * *

(١) انظر : موسوعة اخلاق القرآن ـ احمد الشرباصى ـ لبنان : دار التراث العربى ١٣٩١ هـ . (١٩٧١ م) . ج ١ ص ٢٢٠ (بتصرف) .

المبحث الثالث

الحـذر

أصل مادة الحذر يدل على التيقظ والتحرز والانتباه ، والرجـل الحذور هو المتيقظ المتحرز . والانسان الذى يتحلى بفضيلة الحذر يكون صاحب خشـية . فهو يقدر لرجله قبل الخطو موضعها . وهو لا يتكلم الا عن تفكير وبصيرة . ولا يتصرف الا عن تدبر وحكمة . وهو يحسب لكل أمر حسابه . ويعد لكل نازلة عدتها . فلا يؤخذ على غرة ولا يخدعه غيره بسهولة . لان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « المؤمن كيس فطن » .

ويقول : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » .

وهو يحذر أن يقف موقف المؤاخذة أو المعاقبة أو المحاسبة . ولذلك لا يرتكب ما يعتذر عنه . ولا يقترب مما يعيبه أو يؤخذ عليه ، وهو يحصن نفسـه وحسه وعقله وقلبه . بما يجعله بعيدا عن الخطأ والخطر والعقاب .

ويؤكد القرآن الكريم الأمر بالحـذر والدعـوة اليـه ، فيقول فى سـورة المـائدة : **واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا ، فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين** (١) .

ويفهم من هذا النص الكريم أن الحذر يقتضى الطاعة . وأن الطاعة تعود صاحبها الحذر وابعد عن المخالفة . فيحذر المطيع أن يصيب شـيئا مما نهى عنه الله أو نهى عنه الرسـول . لأن طاعة الرسول من طاعة الله : « **من يطع الرسول فقد أطاع الله** » (٢) .

---

(١) المـائدة : ٩٢ (٢) النسـاء : ٨٠

كما نفهم أن انعدام روح الحذر فى نفس الانسان يؤدى به الى الاعراض عن سبيل الله . والتولى بعيدا عن صراطه المستقيم ، وياسوء من استخف بأمر الله . وأعرض عن طاعته . فان له عذاب الجحيم وبئس المصير .

ويقول الله سبحانه وتعالى :

« أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه ، قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الألباب »(١) .

وكأن الآية تشير ـ والله أعلم بمراده ـ الى أن فضيلة الحذر اذا تأصلت فى نفس صاحبها جعلته حريصا على طاعة ربه والتعبد له ، وتوجيه الدعاء والرجاء اليه فى أوقات الليل المختلفة ، وهو يحق له بعد ذلك أن يتطلع الى فضل الله ونعمته . لأنه يؤمن بالله على علم ، ويعبده بفهم وحذر ، وهذه عبرة ينتفع بها أصحاب العقول والقلوب .

ونستطيع أن نفهم عن القرآن المجيد أن فضيلة الحذر تكون ثمرة للتفقه فى الدين والتأثر بالانذار . ولذلك يقول الله تعالى فى سورة التوبة :

« وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون »(٢) .

وبعد أن يستوفى كتاب الله خطر الحديث عن حذر المؤمن من عقاب ربه ينتقل الى الأمر بالحذر من طوائف من الناس . فالله تعالى يحذر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يفتنه أهل الكتاب ، أو يتبع شيئا من أهوائهم . لأن النبى هو المثل الأعلى فى الخضوع لأمر الله ، والبعد عن مخالفته فى قليل أو كثير . فقال تعالى :

« وان أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ، فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وان كثيرا من الناس لفاسقون »(٣) .

---

(١) الزمر : ٩
(٢) التوبة : ١٢٢
(٣) المائدة : ٤٩

ثم ينتقل القرآن المجيد من تحذير الرسول الى دعوة المؤمنين جميعا الى الحذر والخوف من العدو غير الظاهر . أو ممن يظنهم الانسان سندا له وعونا ، فاذا هم أحيانا يكونون سببا فى خسارة أو بواره . فقال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا ان من ازواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم »(١)

فهم عـدو يشـغلكم عن طاعة الله تعالى . أو يخاصمكم فى أمر الدين والدنيا . والعدو هنا ليس عدو لذاته . لان الأصل فى الزوجة والأولاد أن يكونوا محبين محبوبين بالنسـبة الى الزوج والأب . وانما هم عدو يشـغلكم عن طاعة الله . فاذا فعل الزوج أو الولد فعل العدو كان عدوا . ولا فعل أقبح من الخيلونة بين العبد والطاعة .

ولقد روى أهل التفسير ان هذه الآية الكريمة نزلت فى عوف بن مالك الأشجعى . كان ذا أهل وولد . وكان اذا أراد الغزو بكوا اليـه ورققوه وقالوا : الى من تدعنا ؟! فيرق لهم فيقيم معهم ويترك الغزو . فنزلت الآية لتكون عظة وعبرة .

فاللبيب اذن هو من حاذر وخاف . ولم يستسلم لأحد . ولو كان من أولاده أو أقاربه . فانهم قد يزينون الاثم . أو يحملونه بفتنتهم على ارتكاب المحظور أو كسب الحرام .

ويتحـدث كتاب الله تعالى عن الحـذر من العدو الباغى الطاغى . فيقول جل جلاله فى سـورة النساء :

« يا أيها الذين آمنوا خـذوا حـذركم فانفروا ثبـات أو انفروا جميعا »(٢) .

وثبات : معناها جماعات متفرقة . ومفردها ثبة . والمعنى : استعدوا للأعداء بالحذر والانتباه واليقظة والا عصفوا بكم على حين غرة منكم : « ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحـدة » .

---

(١) التغابن : ١٤ (٢) النسـاء : ٧١

وفى مفردات القرآن أى معنى « خذوا حذركم » هو : خذوا ما فيه الحذر من السلاح وغيره . اى استعدوا واعدوا ما يكون سببا لتحقيق فائدة الحذر . وهو كل أنواع القوة : « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** »(١) .

وهذه الآية الكريمة خطاب من الله تعالى للمؤمنين المخلصين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم . وأمر لهم بجهاد الكفر . والخروج فى سبيل الله . وقد أمرهم ربهم ألا يفتحسوا على عدوهم على جهالة . بل يجب أن يتحسسوا ما عند الأعداء . ويعلموا كيف يواجهونهم ويردون على اعتدائهم . فذلك أثبت لهم ، وهذا لا ينافى التوكل على الله ، بل هو مقام عين التوكل — كما يذكر القرطبى — والحديث النبوى يقول : « اعقلها وتوكل » .

فكونوا يا أهل الايمان متيقظين دائما . وضعتم السلاح أم لم تضعوه . ولا شك ان هذا يدل على تأكيد الوصية بالحذر والتأهب للعدو فى كل الأحوال . وترك الاستسلام والاغترار ، فان الجيش ما جاءه مصاب قط الا من تفريط فى حذر .

ولقد عاد القرآن الكريم يقول فى سورة النساء أيضا وهو يتحدث عن المصلين صلاة الحرب : « **وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم** »(٢) ، فجعل الحذر سلاح وآلة يتحصن بها الغازى . ولذلك عطف الأسلحة على الحذر ، فقال : « وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم » ، وهذا الحذر مطلوب حتى فى الصلاة . لأن الأعداء يتمنون أن ينالوا منكم غفلة فيشدون عليكم شدة واحدة : « **ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة** »(٣) .

وهذه وصاة بالغة وأخذ السلاح ، لئلا ينال العدو مأربه ويحقق مطلبه ، ولذلك جاء فى كتب التفسير أن أكثر أهل العلم يستحبون للمصلى

---

(١) الانفال : ٦٠ (٢) النساء : ١٠٢
(٣) النساء : ١٠٢

أن يأخذ سلاحه اذا صلى فى الخوف . ولقد قال الحكماء : « لا تطمئن الى العدو وان ابدى لك المقاربة . وان بسط لك وجهه . وخفض لك جناحه . فانه يتربص بك الدوائر . ويضمر لك الغوائل . ولا يرتجى صلاحه الا فى مساوئك . ولا رفعة الا بسقوط جاهك » .

والعرب لم يفتها الحديث عن الحذر والاشارة الى قيمته . فكان من دعائهم قولهم : « وقاك الله كل مكروه محذور » . وضربوا الأمثال فى الحذر . فقالوا : فلان أحذر من غراب ؛ أو فلان أحذر من ذئب لأنه يبلغ من شدة حذره أن يراوح بين عينيه اذا نام . فيجعل احداهما مطبقة نائمة . والأخرى مفتوحة حارسة . بخلاف الأرنب الذى ينام مفتوح العينين . لا من حذر بل خلقة ؛ وقال حميد بن ثور فى حذر الذئب :

ينام باحدى مقلتيه ؛ ويتقى بأخرى المنايا . فهو يقظان هاجع

وقالوا : « أحذر من ظليم » ــ والظليم الذكر من النعام ــ لأنه يشم ريح القانص من مسافة بعيدة . فيأخذ حذره . وقالوا فى حكمهم : « الحذر قبل ارسال السهم » . أى يجب أن يكون الحذر قبل فوات الأوان . والا قيل : « سبق السيف العذل » .

والرجل المسلم يجب أن يكون حذرا متيقظا منتبها ؛ لأن الحذر فضيلة من فضائل الرجولة فى الاسلام . لأن الرجل المسلم لا يتكلم الا بعد تفكير وبصيرة ولا يتصرف الا عن تدبر وحكمة .

نسأل الله جل جلاله أن يجعلنا من المستجبين لقوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم** ﴾ انه ولى التوفيق[1] .

* * *

(١) انظر : موسوعة أخلاق القرآن ــ أحمد الشرباصى . ــ بيروت : دار الرائد العربى ١٩٧٢ ، جـ ٢ ، ص ٨٠ ــ ٩٠ (بتصرف) .

المبحث الرابع

حسن الظن

الظن : فى اللغة هو ما يحصل عن أمارة . وهو بهذا شك ؛ ولكنه قد يلحقه تدبر فيصير ضربا من اليقين . ولكنه دون يقين المعاينة ، وقد تضعف الامارة فيكون الظن توهما . وفى هذه الحالة يكون الظن مذموما ؛ واذا قويت أمارته وصار ضربا من اليقين . فان الظن يكون محمودا حينذاك .

والظن فى كثير من الأمور مذموم كما يقول الأصفهانى . وكل ما لا يوثق به فهو ظنين وظنون . والظن الحسن هو تغليب جانب الخير على جانب الشر ؛ وتجنب المسارعة بالاتهام دون برهان .

وقد قال العلماء ان حسن الظن بالله هو أن تظن أنه سيعفو عنك ، ويرحمك بواسع رحمته وأنت على طاعته ؛ وهذا لا يتعارض مع حذرك اذا كنت عاصيا . وحسن الظن بالناس هو أن تظن أنهم على خير ، وعلى هدى من ربهم فيما بينهم وبينه . بل ربما كانوا عند الله أحسن منك ، وهذا فى المسلمين المستورين ؛ وأما أهل العصيان والفسوق والأهواء الفاسدة والمجاهرين بالمعصية فلا يتأتى فيهم حسن الظن .

والقرآن الكريم قد عد حسن الظن فى مواطنه خلقا من أخلاقه وفضيلة من فضائل المجتمع المؤمن . فتحدث عن الظن الحسن بطريق التصريح حين قال من سورة النور وهو يتحدث عن حديث الافك :

﴿ لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا ﴾(١) .

وبطريق النهى عن الظن السيىء الخبيث فى أكثر من آية كما سنرى : ها هو ذا القرآن المجيد يقص علينا قصة الافك فيقول فيما يقول :

---

(١) النور : ١٢

﴿ ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم ، لا تحسبوه شرا لكم ، بل هو خير لكم ، لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم ، والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم . لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين ﴾(١) .

ان هذه الكلمات القدسية تحكى ما حدث من افك وافتراء على الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبى بكر الصديق رضوان الله عليهما . وكان ذلك الافك ناشئا من سوء الظن المتعاون مع النفاق الوضيع ؛ وتشير الآيات الى أن حسن الظن كان أولى وأجدر بالمسلمين ، وكان الواجب على كل من سمع هذا الافتراء القذر أن يرده قائلا : « هذا افك مبين » وذلك كما فعل أبو أيوب خالد بن زيد الأنصارى وزوجته رضى الله عنهما . فقد روت السيرة أن أبا أيوب قالت له زوجته : يا أبا أيوب . أما تسمع ما يقول الناس فى عائشة رضوان الله عليها ؟

قال : نعم ، وذلك الكذب . ثم سألها : أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب ؟

قالت : لا والله ما كنت أفعله .

فقال لها : فعائشة والله خير منك .

ويروى أيضا أن أبا أيوب قال لها عن حديث الافك : ألا ترين ما يقال ؟

فقالت له : لو كنت بدل صفوان بن المعطل ــ وهو الصحابى الجليل الذى اتهموا به عائشة ــ أكنت تظن بحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا ؟

قال : لا .

فقالت : ولو كنت أنا بدل عائشة رضى الله عنها ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فعائشة خير منى . وصفوان خير منك .

---

(١) النور : ١١ ، ١٢

يا لروعة الظن الحسن الجميل فى موطنه الأصيل الجليل[1] .

وليس أروح للمرء ، ولا أطرد لهمومه . ولا أقر لعينه من أن يعيش سليم القلب مبرا من وساوس الضغينه . وثوران الاحقاد . اذا رأى نعمة تنساق الى أحد رضى بها واحسن فضل الله فيها . وفقر عباده اليها . وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر »[2] ، واذا رأى أذى يلحق أحدا من خلق الله رثى له ، ورجا الله أن يفرج كربه ويغفر ذنبه ، وذكر مناشدة الرسول به :

ان تغفر اللهم تغفر جما واى عبد لك ما الما

وبذلك يحيا المسلم ناصع الصفحه . راضيا عن الله ، حسن الظن بالله ، راضيا عن الحياة . حسن الظن بالناس . مستريح النفس من نزعات الحقد الأعمى . فان فساد القلب بالضغائن داء عياء وما أسرع أن يتسرب الايمان من القلب المغشوش . كما يتسرب السائل من الاناء المثلوم !.

ونظرة الاسلام الى القلب خطيرة . فالقلب الاسود يفسد الأعمال الصالحة ويطمس بهجتها ويعكر صفوها .

أما القلب المشرق فان الله تبارك وتعالى يبارك فى قليله ، وهو اليه بكل خير أسرع .

ومن ثم كانت الجماعة المسلمة حقا ، هى التى تقوم على عواطف الحب المشترك ، والود الشائع . والتعاون المتبادل ، والمجاملة الرفيقة ، لا مكان فيها للفردية المتسلطة الكنود[3] .

وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ، ان بعض الظن اثم** ﴾[4] .

---

(١) انظر : موسوعة اخلاق القرآن ـ احمد الشرباصى . ـ بيروت : دار الرائد العربى : (١٩٧٩ م) ؛ ١٣٩٩ هـ ؛ جـ ٤ ص ٤٢

(٢) رواه أبو داود .

(٣) انظر : خلق المسلم ـ محمد الغزالى ؛ ص ٨٦

(٤) الحجرات : ١٢

فهذا أمر الهى باجتناب كثير من الظنون حتى لا يتركوا أنفسهم تغرق فيما يهجس بداخلها من ظنون وشكوك ، وكان الآية الكريمة تنهى عن أن يلوث الانسان بالظن السيىء فيقع فى الاثم . وتحث على أن يظل الانسان طاهر القلب نقى الصدر بريء الساحة . يطوى فؤاده على حسن الظن بالناس .

ولقد تحدث القرآن حديث التعريض بالذين يفتحون على أنفسهم باب الظن السيء بالله حتى فى أشد الأحوال وأقسى الظروف فذلك حيث يقول : ﴿ **اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذا زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا** ﴾(١) .

ومن الواضح أن سوء الظن ـ دون موجب ـ يؤدى الى الاتهام المتعجل . وتتبع العورات ، وتسقط الهفوات ، والتجسس الدنيء ، وغير ذلك من الآثام .

ولقد روى البخارى ومسلم فى الحديث القدسى قول رب العزة : « **انا عند ظن عبدى بى** » اى قدر على أن أعمل به ما ظن انى عامل به ، وكان هذه اشارة الى ترجيح جانب الامل والرجاء على جانب الخوف . أو تغليب جانب حسن الظن على جانب سوء الظن .

وفى الحديث الصحيح : « اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ». أراد اياكم وسوء الظن وتحقيقه ، أو أراد الشك يعرض للانسان فى السيء فيحققه ويحكم به . ويروى أبو داود بسند صالح أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « حسن الظن من حسن العبادة » . فتحسين الظن بالناس يحفظه من بغضهم وحسدهم ولذا كان من عبادة ، كما أن سوء الظن بهم معصية ، وأما سوء الظن بالله تعالى فكفر نعوذ بالله منه .

والشيطان يحاول دائما اثارة سوء الظن ، وتحريكه فى نفس

---

(١) الأحزاب : ١٠

الانسان ليؤدى به الى المعاطب . والسنة المطهرة تخبرنا بذلك ؛ فقد روت أم المؤمنين صفية بنت حيى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان معتكفا فى المسجد . فذهبت اليه وتحدثت معه فمر به رجلان من الأنصار . فسلما وانصرفا . فناداهما النبى وقال : « انها صفية بنت حيى » .

فقالا : سبحان الله يارسول الله !! قال : « ان الشيطان يجرى من الانسان مجرى الدم . وانى خشيت ان يقذف فى قلوبكما شرا » .. أو قال « شيئا » .

« فعلى قدر حسن ظنك بربك ، ورجائك فيه . يكون توكلك عليه : ولذلك فسر بعضهم التوكل بحسن الظن بالله .. والتحقيق ان حسن الظن به يدعوه الى التوكل عليه ، اذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنك به . ولا التوكل على من لا ترجوه » .

ومن أهم صفات الرجولة الاسلامية أن يكون المسلم رجلا حسن الظن بالله أولا ثم حسن الظن بالناس لأن سلامة القلب والصدر يحتاج على الرجل المسلم أن يتمنى الخير للناس .

ومن فضل الله على العباد . أن استحب ستر عيوب الخلق ، ولو صدق اتصافهم بها . وما يجوز لمسلم أن يتشفى بالتشنيع على مسلم ولو ذكره بما فيه .

وصاحب الصدر السليم يآسى لآلام العباد ، ويشتهى لهم العافية .

أما التلهى بسرد الفضائح وكشف الستور وابداء العورات فليس مسلك الرجل المسلم الحق .

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا ممن يحسنون الظن بفضله ويحسنون الظن بالناس .

* * *

المبحث الخامس

الفطنـة

● **تعريف الفطنـة :**

هى فضـيلة عقلية تمكن صاحبها حسن القيـام بعمله • ذلك انه لحسن الفعل لابد أن تعرف معرفة صحيحة مع الفضـيلة الأخلاقية التى تجعلنا نريد ارادة صحيحة • ويكون الفعل حسـنا اذا التقت الحكمـة والفضيلة على موضوع واحد ترى الحكمة أنه ما يجب علينا فعله . وترى الفضـيلة أن الارادة ينبغى أن تنعقد عليـه ، وباجتماع الفكر والارادة يتم العزم . وبالعزم يكون الفعل ، لأن العزم هو مبدأ الفعل •

والحكمة تعرف الصواب . وتعرف بالوسـائل الى تحقيق ما هـو صواب ولهذا فان الحكمة فضيلة للعقل بما يعرف الانسان ما ينبغى أن يفعله . وما يجب عليـه أن يتجنبـه ويتضـمن الروية والحكم العملى والتصميم أو العزم •

وتندرج فى الحكمة عدة عوامل منها الحنكة من التجارب الشخصية. والافادة من تجارب السـابقين من الحكماء ، وتقصى الحقائق قبل اصدار القرار والاهتمام بتحديد الغاية السليمة[1] •

وحدد ديكارت ثلاث قواعد للحكمة :

الاولى : أن يعمل الانسان دائما على أن يستخدم عقله على أحسن وجه ابتغاء أن يعرف ما يجب أن يفعله أو ألا يفعله فى كل ظروف الحياة •

والثانية : أن يكون ذا عزم راسخ على انجاز ما ينصحه به العقل دون أن تصرفه عن ذلك تسـهواته •

---

(١) انظر : الاخلاق النظرية ـ عبـد الرحمن بدوى ـ الكويت : وكالة المطبوعات ، ١٩٧٥ م ، ص ١٦٢

والثالثة : أن يعتبر أثناء سلوكه هذا وفقا للعقل ـ أن كل الخيرات التى يملكها هى كلها خارج سلطانه ، وعلى هذا الطريق يتعود على ألا يشتاقها ، لأنه لا شيء مثل الشهوة أو الحسرة أو الندم يمكن أن يحول بيننا وبين أن نكون راضين . لكن اذا فعلنا دائما حسبما يملى علينا العقل ، فلا نجد أبدا ما يدعونا الى الندم ، حتى لو بينت لنا الأحداث فيما بعد أننا أخطأنا . وذلك لأنه لم يكن الذنب ذنبنا .

وما يجعلنا لا نشتهى مثلا أن تكون لنا أذرع أكثر أو أطول فى الدنيا ، وانما نشتهى أن تكون صحتنا أحسن أو ثرواتنا أكبر هو اننا نتصور ان هذا الرأى يمكننا أن نتخلص منه حين نتأمل أنه مادمنا قد تابعنا دائما نصيحة العقل . فاننا لم نهمل شيئا مما كان فى استطاعتنا ، وأن الأمراض والبلايا ليست أقل طبيعة الانسان من السعادة والصحة .

وفضلا عن ذلك فليست كل الرغبات غير متفقة مع السعادة ، وانما فقط تلك المصحوبة بالقلق والحزن . وليس من الضرورى أيضا ألا يخطىء عقلنا أبدا . بل يكفى أن يشهد ضميرنا أننا لم نعوزنا العزيمة ولا الفضيلة من انجاز كل الأمور التى حكمنا بأنها هى الأحسن ، وهكذا فان الفضيلة وحدها كافية لجعلنا راضين فى هذه الحياة[1] .

ويمكن التمييز بين الفطنة فى فهم الأشياء وبين البلادة ، فهما ملكتان تحملان على تسمية بعض الناس فطنين أذكياء وتسمية آخرين بلداء الفطنة التى تفهم الأشياء لا يمكن بحال أن تشتبه لا بالعلم . ولا بالرأى لأنه اذا لم يكن الأمر كذلك لكان جميع الناس بلا استثناء فطناء .

ان الناس الذين يسمونهم فطناء . هم أولئك الذين لهم فهم تام الأشياء التى تهمهم[2] .

---

(١) انظر : رسالة الى اليصابات ـ ديكارت ـ أغسطس سنة ١٩٤٥م.

(٢) انظر : علم الأخلاق ـ ارسطوطاليس ـ ترجمة أحمد لطفى السيد جـ ٢ ، ص ١٤٠

وهاهنا على سبيل المثال مواقف فى الفطنة مع النعمان بن المنذر :

هبات عظمى وهبها الله لهذه الأمة منذ أقدم العصور .. ما رأيت .. ما سمعت .. وما قرأت عنها فى أثر من آثار أمة أخرى . لست بالداعية المكابر .. ولا بالغمر المجامل .. ولا بالطالب المتطاول .. انما هى حقائق خلقيـــة من الله لا حيلة لأحد قط فى أن ينتكر لها . فالعظيم الحقيقى من كان صاحبا لتلك الحقائق .. وسليم النفس الحقيقى من آمتلك فهمها عن وعى وعن ادراك .. لا أغلو أبدا عندما أقول ، بأن سقيم العقـل هو من ينكر تلك الحقائق عن يقين بلا وجدان .

لا أحد من المثقفين يجهل من النعمان بن المنذر .. ولا أحد من الحاضرة أو البادية الا وله مع ذلك الرجل موقف . يصيب منه اما نصيبا من علم .. واما نصيبا من معرفة .. واما نصـيبا من حالة أو خبر .

كان ــ كما قلنا ــ ابن بادية . نعمة من نعم الله تعالى على قومه . وكان فى نفس الوقت . ربيب مجد وجاه حضرى . ينتقل من الشـدة الى الرخاء .. ويتقلب ما بين خيرات الاثنين . قد يتصارع مع سماته الفكرية تارة .. أو مع نبرات المنطق تارة أخرى . يتفقد أحوال القـوم بالليل . ويراقب أحواله وتصرفاته فى النهار . حتى خرج وله من الحصيلة ثلاث : الخلق الجميل .. والخلق الجليل .. والذكاء الوقاد مع العرق النبيل . كان النعمان بعظم تلك الصـفات بنشوة لا يفرق فيها بين الصبية والشـيوخ . وكان أقرب ما يكون الى الرجـل الكامل ، يجزيه عليها بسخاء ويعذبه عليها بدهاء ، ما دام لتلك السمات ضروبا وكان يربيها فى أهله وفى أقرب المقربين الى نفســه ، حتى صـار بحق عظمة الســلطان ونغمة الصولجان . عبرة من عبر التاريخ ، ونعمة تهتز لها المشاعر . وتطرب لها القلوب .

لقى (النعمان) مرة سعد بن مالك ، وكان حبيب الأرض والتراب جواب المسـالك وعشـيقا للوطن والترحـال . كان معه من الخيـل ما يقاد ، ومن الابل ما هو عار ومهمل . سـأله النعمان مداعبا عن الحال

والغيث والأرض ، وهل جاءها من السماء نصيب ؟! فأجابه سعد بما هو أعظم من الحكمة ، أما المطر فغزير . وبلغة فطرية ساذجة :

ـ أما الورق فشكير .

ـ أما النافذة فساهرة .

ـ فأما الحازرة فشبعى نائمة .

العيب كل العيب ألا نفهم ما قيل . والعيب كل العيب اذا أنا لم أسهل كلمات رخية من نفس سوية بسيطة وأبية ، قد يصعب علينا فى هذه الأيام فهم تكوينها ومراميها . كلمات بدهية قيلت على السجية .. تنساب من لسان ابن الأرض بدقة كالشفاء ، عباراتها جميلة لا غموض فيها ، وأجمل منها ذلك التعبير اللغوى والتصوير العربى الفطرى :

الورق الشكير هو : العشب الصغير ، والنافذة الساهرة هى : من نفذت بخير من داء الضعف والهزال . أما الحازرة فهى : تلك التى امتنت على نفسها من النعمة فنامت .

لم يستغرب النعمان من ذلك الانسان ما سمع بل كان بشخصه الى الحفاوة أقرب ، مع شيء من الحذر الشديد والاندهاش . فقال له باعجاب انك لمفوه يا هذا !! ألا يصعب عليك أمر من مداخل الحديث ومخارجه ؟! ان شئت أتيتك بما تعيا وتعجز عن جوابه ... فهل أنت لها يا هذا ؟!

فقال سعد : أجل أيها العظيم لقد شئت . فأمر النعمان وصيفه فلطمه وعلى الأثر سأله : ما جواب هذه عندك ؟!

فقال سعد : سفيه مأمور .

فأمر الوصيف بلطمة ثانية ففعل ، وعلى الأثر سأله : وما جواب هذه ؟!

فقال له سعد : لو نهى عن الأولى ما عاد للثانية .

فأمر الوصيف بلطمة ثالثة وعلى الأثر سأله : وما جواب الثالثة ؟!

فقال سعد : لقد ملكت فاسجح !! أى لقد بدأتها ساخنة ، وأنا أطلب منك العفو والصفح .

مكث سعد عند النعمان ما مكث أثيرا عزيز القدر والجانب صاحب رأى وله من المقام أرفعه . ووقع فى خلاله أمام أعظم محنة .

بعث النعمان مرة أخا لسعد يقال له عمرو بن مالك ، فى بعثة يرتاد فيها أخبار الكلأ . فأبطأ فى العودة غضب النعمان لذلك أيما غضب . وأقسم لئن جاء ذاما الكلأ أو حامدا له ليقتلنه فكانت على نفس سعد مصيبة ، ومالك أخوه لابد مقتول .

قدم عمرو من بعثته ، ودخل على التو الى النعمان ، وكان أخوه سعد الى يمينه . فهمس متلطفا ينشد أمرا : أبيت اللعن .. أتأذن لى بكلمة ؟!

فقال النعمان : ان كلمته بكلمة قطعت لسانك .. ــ فقال سعد : أفأشير اليه بيدى ؟! ــ فقال النعمان : ان أشرت اليه قطعت يدك .

فقال له سعد : أفتأذن لى بأن أقرع العصا ؟!

فقال له النعمان حين قال : أما هذه فلك . تناول سعد عصا من جلسائه فوضعها بين يديه . ثم جمعها مع الأخرى ، وأخوه لا يزال واقفا يترقب ، وكانت فى وقتها لحظات شدة ما بعدها شدة . كيف لا . ومصير الأخ معلق بين تسفاه أخيه ؟!

قرع سعد عصاه قرعة واحدة مع الأخرى فانتبه لتلك القرعة نظر عمرو وكان حادا شديد الذكاء . ثم أومأ له بواحدة ، فعرف من أخيه : أن لا تبرح المكان . ثم قرع العصا قرعة واحدة ، رفعها للسماء بعد أن مسحها بالثانية . فعرف من أخيه كلمات النفى : (لا شىء) ... وهو يقصد الأرض (بلا زرع) . ثم قرع العصا (مرارا) بطرف الأخرى .. ورفعها بالتدريج شيئا فشيئا ، وعين الأخ تتبعها حتى فهم المعنى (لا عشب ولا نبات) . فاندفع عمرو بعدها فى الكلام منطلقا وهو

يقول : (لم أذمم جـدبا .. ولم أحمد بقلا . الأرض مشكلة ، لاخصبها يعرف ، ولا جدبها يوصف . رائدها واقف ، ومنكرها عارف ، وآمنها خائف) .

فقال له النعمان : (لقد نجوت يا هذا اقبل على أخيك فقد سبقك بالرأى ، لولا فطنتك ما نجوت)[1] .

هذا مثال حى من أمثلة الفطنة . لأنه ينبغى لكى يكون المسلم رجلا . أن يكون فطنا سريع الفهم . لأن اللبيب بالاشارة يفهم .

ولأن الفطنة فضيلة عقلية تمكن صاحبها حسن القيام بعمله . ولا بد أن تكون مطبوعة فى نفس الرجل المسلم لتكتمل فيه معنى من معانى الرجولة . لأن الرجل الفطن الذكى سريع الفهم محبوبا عند الناس محبوبا عند الله لأن من أحبه الله وضع له القبول فى الأرض ..

اللهم اجعلنا من الفطينين الأذكياء الذين يستخدمون ذكاءهم وحكمتهم وفطنتهم فى خدمة الاسلام والمسلمين .

* * *

(١) انظر : مجلة الحرس الوطنى : ع ؛ (٢٤) بتاريخ صفر ١٤٠٥ هـ - نوفمبر ١٩٨٤ م ص ١١٠ - ١١١

المبحث السادس

خفايا آفات النفوس

حياة الانسان قد تتجه نحو تكميل النفس وطهارتها . وقد تتجه نحو الشرور واقتراف الجرائم والآثام .

وأثبت القرآن الكريم ان النفس لها هوى . والهوى شعور يميل بها الى ما تحب من مطالب وحاجات . أو متع ولذات وشهوات . أو عواطف وانفعالات وقد يكون ما تهواه شرا لها . أو أذى أو ضرا ، قال تعالى .

« واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هى المأوى »(١) .

ومن الخصائص الادراكية معرفة طريق الفجور وطريق التقوى . وقد منح الخالق النفوس الانسانية القدرة على معرفة هذين الطريقين من طرق سلوك الانسان فى الحياة . طريق الفجور وطريق التقوى . فحينما تتجه النفس الى سلوك طريق الفجور تتجه اليه وهى عارفة بأنه طريق شر . فهى بصيرة بما تعمل . وحينما تتجه الى سلوك طريق التقوى . تتجه اليه وهى عارفة بأنه طريق خير . فهى بصيرة بما تعمل .

هنا ما دل عليه قوله تعالى :

« ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد افلح من زكاها . وقد خاب من دساها »(٢) .

وأثبت القرآن أن النفس الانسانية كاسبة لم يصدر عن الانسان من أعمال خير وأعمال شر . وان الله يعلم ما تكسب كل نفس . قال الله تعالى مبينا علمه بما تكسب كل نفس :

« يعلم ما تكسب كل نفس ، وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار »(٣) .

---

(١) النازعات : ٤٠ ــ ٤١ (٢) الشمس : ٧ ــ ١٠

(٣) الرعد : ٤٢

ودلت النصوص القرآنية على أن النفس الانسانية ذات ارادة حرة . تختار بها طريق هدايتها أو طريق ضلالتها ؛ فهى غير مجبرة . نفهم هـذا من قول الله تعالى :

﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾(١) .

أى لو شئنا أن نجعل النفوس من الجن والانس مجبرة غير مخيرة . لآتينا كل نفس هـداها . ولكن المشيئة قررت التخيير . ويلزم من التخيير أن تختار بعض النفوس طريق هـداها . وتختار الأخرى طريق ضلالها . وعندئذ تقضى الحكمة بالتفريق فى الجزاء . ففريق فى الجنة وفريق فى السـعير .

والنفس الانسانية ذات اطراف ثلاثة أعلى وأسفل وأوسط :

فالطرف الاسـفل من النفس يوسوس ويسـول بالسوء وممارسة ما فيه شر وضر واثم . طلب للمتع واللذات العاجلة . فهو أمار بالسوء . دل على هذا الطرف الشيطانى من النفس ووساوسـه وتسويلاته وكونه أمارا بالسـوء . فى قوله تعالى :

﴿ ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ﴾(٢) .

والطرف الاعلى من النفس يأمر بفعـل الخير ؛ وينهى عن فعـل الشر . فاذا استجابت له مراكز الارادة المنفذة فى الطرف الأوسـط من النفس . اطمأن وسكن . وذاق حلاوة فعل الخير وترك الشر ؛ واذا لم تستجب له مراكز الارادة المنفذة . مسـه القلق والاضطراب . وشـعر بوخزات الاثم . والخوف من العقاب ؛ وبدأ يوجه الملام فهو فى هـذه الحالة الطرف اللوام . وقد دل على هذا الطرف الربانى من النفس . عدة نصوص من القرآن . منها ما يلى ؛ قال تعالى :

﴿ لا اقسم بيوم القيامة . ولا اقسم بالنفس اللوامة ﴾(٣) .

---

(١) السجدة : ١٣ (٢) ق : ١٦

(٣) القيامة : ١ ، ٢

فالنفس اللوامة هى التى توجه اللوم الداخلى على فعل الاثم ؛ ولا تكون لوامة ما لم تكن من قبل ناصحة . آمرة بالخير ناهية عن الشر . وهذا الجانب من النفس هو ما قد يسمى بالضمير .

والنفس المطمئنة هى التى توجه النصح لفعل الصالحات ؛ وتأمر بالخير . وتنهى عن الشر . فتستجيب مراكز الارادة لها . فتطمئن للنتيجة . ولا يمسها الخوف والقلق من سوء المصير . وظاهر أن هذا ما يسند الى الضمير من الراحة لدى فعل الخير وترك الشر .

وأما الطرف الأوسط فهو الطرف المنفذ ،لذى تقع فيه الارادة الحرة ؛ وهو طرف يتجاذبه الطرفان الأعلى والأسفل .

واذا ثبت لدينا وجود الطرفين الأعلى والأدنى لزم منطقيا وجود الطرف التنفيذى الأوسط . لأن وظيفة الطرفين المتناقضين لا تتعدى الدعوة والطلب . ودل على هذا الطرف ما أثبت الارادة الحرة المختارة للنفس . كقول الله تعالى فى سورة السجدة : ﴿ **ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ...** ﴾ . وقد سبق وجه الاستدلال به .

والانسان يملك باستجابته للطرف الربانى تزكية نفسه . ويملك باستجابته للطرف الشيطانى تدنيس نفسه ؛ والمفلح هو من زكاها . والخائب هو من دساها . قال الله تعالى :

﴿ **ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها** ﴾(١) .

ان الله تبارك وتعالى قد منح الانسان الارادة الحرة . ليضعه موضع الامتحان . وهذه الارادة الواعية لديه واقعة بين دوافع علوية ودوافع سفلية . فاذا استجابت ارادته لتلبية الدوافع السفلية فقد اختارت الشر بما لديها من حرية اختيار ؛ واذا استجابت لتلبية الدوافع العلوية فقد اختارت بما لديها من حرية اختيار .

---

(١) الشمس : ٧ ـ ١٠

ودوافع الخير تعتمد على الايمان بالغيب ، وهو فضية فكرية ووجدانية ودوافع الشر تعتمد على منطق الحس ولذات الجسد ، وهذه حيوانية بهيمية .

ولكن أكثر الناس تستجيب ارادتهم للجانب الحيوانى فيهم ، فينزلون بأنفسهم الى أسفل سافلين . فيكونون كالأنعام بل أضل سبيلا . وبذلك يقتلون فى ذواتهم العنصر التكريمى الذى كرمهم الله به ، وفضلهم به على كثير ممن خلق . وهو العنصر الفكرى والوجدانى الذى يدفعهم الى الايمان بالغيب . والارتقاء الى الكمال الانسانى . وهذا مسخ يفعلونه فى أنفسهم بارادتهم اذ ينزلون بها الى مستوى الأنعام أو أضل . والمسئول عن ذلك ارادتهم الحرة .

فارادات الناس الحرة الواعية للخير والشر هى مناط الامتحان ، وأساس الفطرة الانسانية أكثر ميلا الى الحق والخير والفضيلة ، ولذات الجسد ليست كلها شرا . بل المقدار النافع المنضبط منها هو من الخير لا من الشر . والشر منحصر فيما فيه ظلم أو عدوان أو ضرر أو تجاوز لحدود الله .

ومع ذلك فاننا نلاحظ أن أكثر الناس يستخدمون ارادتهم الحرة فى اختيار المتاع الجسدى الذى ينزل بهم الى أسفل سافلين ، فيجعلون ما فضلهم الله به سببا فى انحطاطهم ونزول مكانتهم ، اذ يسيئون الاختيار .

ومما سبق يتبين لنا أن منابع الخير والشر لدى الانسان موجودة فى زوايا نفسه ، فسلوكه الظاهر وأعماله المختلفة ثمرة ونتيجة لحركات نفسه واندفاعاتها واتجاهاتها الجازمة .

ولما كان الجزاء الربانى المعجل فى الحياة الدنيا منوطا بأعمال الناس . وأعمالهم نتيجة ما فى نفوسهم ، كان من الطبيعى المنطقى أن لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

وهذا ما بينه القرآن في قوله تعالى :

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ومالهم من دونه من وال »(١) .

ويعرف الشيطان هذه الحقيقة . فيقول يوم القيامة للذين استجابوا لوساوسه وتسويلاته في الحياة الدنيا : «لا تلوموني ولوموا انفسكم»(٢).

والمسارعة الى فعل الخير شأن المؤمن المخلص الذي يتصف بالرجولة لان الرجل المسلم لا يتباطأ عن مواطن الخير . وفي طليعتها مواطن العبادة . لان التباطؤ في الخير هو شأن الذين في قلوبهم مرض . كما قال الله تعالى في شأن المنافقين في سورة النساء :

« ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا . مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا »(٣) .

ولأن المؤمنين الصادقين من شأنهم ان يسارعوا الى الطاعات والقربات . قالت الاية بعد وصفهم بهذه المسارعة : «واولئك من الصالحين» أي للذين صلحت نفوسهم . واستقامت أحوالهم وحسنت اعمالهم .

ويقول الله تبارك وتعالى : **« وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين »(٤) .**

والمسارعة الى المغفرة والجنة هي المبادرة الى أسبابها . وما يعد الانسان لنيلهما والفوز بهما . أي سارعوا الى ما يوجب لكم مغفرة ربكم ونعيم جنته .

وكراهة الناس يوصون أنفسهم وغيرهم بأن يتعجلوا خطواتهم نحو عمل الخير قبل أن تعوق العوائق .

نسأل الله عزت قدرته أن يجعلنا من الرجال المسارعين الى الخير . السابقين الى البر . انه الرؤوف الرحيم(٥) .

* * *

(١) الرعد : ١١ (٢) انظر : الاخلاق الاسلامية وأسسها ـ عبد الرحمن الميداني : جـ ١/٢٢٢ وما بعدها (بتصرف) .

(٣) النساء : ١٤٢ ـ ١٤٣ (٤) آل عمران : ١٣٣

(٥) انظر : موسوعة اخلاق القرآن ـ أحمد الشرباصي ـ بيروت : دار الرائد العربي جـ ١ ص ٢٤٢ وما بعدها (بتصرف) .